مجلـــــة كليـــــة التربيـــــة طرابلـــــس

Journal of the Faculty of Education Tripoli

النص الأدبي العربي ورهان التأويل بين التراث والمعاصرة

شعيب مرواني

جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: chouaib.merouani@univ-tebessa.dz

Article history

Received: Sep 7, 2023 Accepted: Dec 9, 2023

الملخص:

إن قضية تأويل النص الأدبي، قضية تضرب بجذورها في عمق تراثنا العربي وتمتد فروعها إلى وقتنا الحالي، ذلك أن التأويل سيرورة متواصلة تتساوق مع التطور الإنساني، لذلك فهو يشكل إحدى الممارسات الفكرية الثقافية المتأصلة في الإنسان والتي لا يمكن الاستغناء عنها، وقد عرفت الثقافة العربية التأويل قديما وازدهر معها بظهور الإسلام ونزول الوحي، ليستفيد النص الأدبي من هذه الممارسة لاحقا بعد تعمق تجربتها بالنص الديني.

يروم التأويل الوصول إلى المعنى وتفكيك بنيات النص وفق آليات مختلفة يستعين بها المؤول، قصد بناء استراتيجية تأويلية تمكنه من تحليل النص وفك رموزه وكشف دلالته الضمنية وبنياته العميقة، ولعل النص الأدبي يعتبر فضاء رحبا للتأويل، لما يوفره باعتباره نسقا لغويا من تعدد للدلالات ومعان غائبة تتيح للتأويل تطبيق آلياته وممارسة استراتيجياته لاستنباط هذه المعاني وكشفها، بالتالي فقد جاءت هذه الدراسة لتشتغل على التأويل وآلياته في تحليل النص الأدبي، وتحديدا النص الأدبي العربي.

حيث عَرَضَتْ بداية لمفهوم التأويل والنص، ووضحت العلاقة بينهما، لتقارب في شقها الآخر الآليات التأويلية وطرق اشتغالها على النصوص الأدبية، معتمدة على نماذج تراثية ومعاصرة ومسلطةً الضوء على كيفية إنتاج المعنى فيها، لتقارن بينها في محاولة لرصد نقاط التشابه والاختلاف بين تأويل النص الأدبي قديما وبين التأويل المعاصر الذي يستأنس ويعتمد على نظريات ومناهج غربية دخيلة على ثقافتنا العربية.

الكلمات المفتاحية: التأويل، آليات التأويل، النص الأدبي، التراث العربي، الأدب المعاصر.

A B S T R A C T:

The literary text Interpretation issue is deeply rooted in our Arabic heritage, and its branches extend to the present time. Interpretation is a continuous process that evolves with human development, making it an essential cultural and intellectual practice. Arab culture has long been familiar with interpretation, especially with the emergence of Islam and the descent of revelation, which later benefited literary texts as they delved into religious texts. Interpretation aims to reach the meaning and deconstruct the structures of the text according to various mechanisms used by the interpreter, with the intent of constructing an interpretive strategy that enables it to analyze and decipher the text and reveal its implicit significance and deep structures. The literary text may be considered a wide space for interpretation because it provides as a linguistic system a multiplicity of connotations and absent meanings that allow interpretation to apply its mechanisms and practice its strategies to elicit and reveal these meanings. Therefore, this study focuses on interpretation and its mechanisms in analyzing Arab literary text, presenting the concept of interpretation and text and clarified the relationship between them, to converge in its other part the hermeneutic mechanisms and its methods that work on literary texts, depending on traditional and contemporary models and highlighting how meaning is produced in it, then comparing them in an attempt to observe the points of similarity and differences between the interpretation of the literary text in the past and the contemporary interpretation that relies on Western theories and methods which are alien to our Arabic culture.

Keywords: interpretation, hermeneutic mechanisms, literary text, Arabic heritage, contemporary literature.

مقدمة:

إن الحديث عن التأويل يقتضي الحديث عن النص الذي يعتبر أحد مجالات اشتغاله، خاصة النصوص التي تمتاز بتعدد المعاني وانفتاح الدلالات كالنصوص الأدبية، حيث يهدف التأويل إلى تفكيك بنيات النص الأدبي وإعادة تشكيل المعنى فيه وفق آليات واستراتيجيات مختلفة يستعين بها الدارس في عمليته التأويلية، تخضع هذه الآليات لطبيعة الثقافة واللغة والبيئة التي أُنتج فيها النص ونشأ فيها المؤلف، وتفرض طبيعة النص الآليات التأويلية المطلوبة في تحليله، كما تتأثر بالمؤول نفسه، وعلاقته مع النص، ورصيده المعرفي، وقدرته على الإحاطة بسياقات النص وأنساقه.

ولقد عرفت الثقافة العربية التأويل منذ القديم فهو ليس بالغريب أو الدخيل عليها، لذلك فقد اتخذت الدراسة من آليات تأويل النص الأدبي العربي موضوعا لها، منطلقة من التراث حيث لا يمكن الحديث عن التأويل دون الحديث عن التراث كأحد روافده، فالتأويل قراءة ، و القراءة فعل تراكمي يستند لما قبله من القراءات، لذلك فإننا نُعنى تحديدا هنا بإبراز دور التراث في التأويل و الفصل في رهانه بين التراث والمعاصرة ، بعد توجه الدراسات العربية إلى تبني النظريات الغربية والمراهنة عليها وعلى قدرتها في سبر أغوار النص ، متناسين خصوصية النص الأدبي العربي الذي لا ينفصل عن قواعد اللغة العربية في الإنتاج .

ولعل أهمية ورقتنا تكمن في التقابل الذي يُجريه بين الآليات التأويلية القديمة للنص الأدبي العربي، وبين الآليات الحديثة ، في محاولة منه لتقصي مدى الصلة بتراثنا القديم وما إن كانت الآليات التأويلية التراثية صالحة في زمن تطغى فيه النظريات الغربية أو أنه غير ذلك، وعليه وقع الاختيار على نموذجين من فترتين زمنيتين متباينتين (قديمة/معاصرة) للمقارنة بين آليات التأويل القديمة وتلك الحديثة المستوردة.

وقد أُخْتِيرَ الموضوع لعدة أسباب أهمها طغيان النظريات الغربية في مجال تحليل النصوص و توجه الباحثين للاستفادة منها، والعزوف عن التراث –تقريبا– رغم توفره على الكثير من المقولات خاصة في مجال التأويل وتحليل النصوص التي يمكن الاستفادة منها وتطويرها.

ونحن بذلك نهدف إلى: رصد آليات التأويل في تحليل النص الأدبي العربي قديما، وكذلك رصد الآليات التأويلية الحديثة المتأثر بالنظريات الغربية، وتوضيح كيفية اشتغالها والمقارنة بينها من أجل الوصول إلى نتيجة تساعدنا في الحكم والفصل بين التراثي والمحدث، ومعرفة ما إن كانت الآليات التأويلية التراثية قد عفى عنها الزمن ولم تعد قادرة على مقاربة النص الأدبي العربي، أو أنها لا تزال صالحة وتفرض نفسها وتزاحم الحديثة ، ولربما تفيدها في عمليتها التحليلية.

ويتأسس البحث على إشكالية أساسية حاولنا الإجابة عنها في متن الدراسة كالتالي: ماهي آليات التأويل التي استعان بها القدماء في تحليل النصوص الأدبية؟ وهل مازالت هذه الآليات صالحة لتحليل النصوص العربية أم لا؟ و هل استغنى الباحثون المعاصرون عن التراث في تأويلهم للنصوص أم أنه مازال حاضرا في مقارباتهم حتى مع طغيان النظريات الغربية؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة كالآتي: ما التأويل؟ ما النص؟ ما العلاقة بين التأويل والنص؟ وهل يمكن الاستفادة من الآليات التراثية في التأويل المعاصر أم لا؟

ونشير إلى استفادتنا من الدراسات السابقة في هذا المجال لكن ما يؤخذ على بعضها أنه نظري بحث يفتقر إلى الجانب التطبيقي فهو يعنى بالتقعيد والتأسيس المعرفي لنظريات التأويل، أمّا البعض الآخر فهو تطبيقي لكن تطبيقه يكمن في الاستعانة بالمقولات النظرية والآليات التأويلية وتحليل النص وفقها، ومن بين هذه الدراسات:

- عبد القادر فيدوح (1993): دلائلية النص الأدبي دراسة سيميائية للشعر الجزائري، ط1، وهران، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- نصر حامد أبو زيد(1995): النص، السلطة، الحقيقة، ط1، بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

- محمد بازي(2010): التأويلية العربية نحو نموذج تساندي لفهم النصوص والخطابات، ط1، بيروت، لبنان: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم.

ولعل خصوصية دراستنا تتمثل في مقاربة الكيفية التي طبق بها الدارسون الآليات التأويلية في تحليل النصوص، ومقاربة مدى تأثر المعاصرين بالتراث أو عزوفهم عنه، فنحن لا نطبق الآليات على نص أدبي معين ولكننا نستخرجها من الدراسات التطبيقية ونحللها ونقارنها، وقد اتخذنا من بعض هذه الدراسات مراجعا لإثراء بحثنا في حين اتخذنا من البعض الآخر مصادر للدراسة.

أما عن منهج البحث فقد اعتمدنا على المنهج الاستنباطي حيث انطلقت الدراسة من تصور عام ثم ساقت مثالين تطبيقيين لاختبار التصور الأولي المطروح، وقد استعنّا بالمنهج المقارن للمقارنة بين القديم والحديث وإبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

وتوزع البحث على مجموعة من العناصر والعناوين كالآتي: بدأنا بمفهوم التأويل في اشتقاقه اللغوي العربي وكذلك الغربي، ثم انتقلنا للمفهوم الاصطلاحي له في تراثنا العربي وعند المحدثين العرب، أتينا بعدها على مفهوم النص ثم علاقته بالتأويل، وانتقلنا بعدها لرصد آليات تأويل النص الأدبي العربي قديما متخذين من "ابن جني" و"الآمدي" أنموذجا، وعددنا الآليات المتبعة في تحليله والمتمثلة في دراسة الظروف السياقية للعملية الإبداعية، دراسة الأنساق البنائية للنص وتضمنت ثلاثة أبعاد هي: المعجمي، النحوي والصرفي، وكذلك البلاغي، ومن آليات التأويل عند القدامى انتقلنا إلى الآليات الحديثة والمعاصرة في تأويل النص الأدبي العربي، حيث أوضحنا تأثر العرب بالمناهج الغربية ثم قدمنا نموذجا تطبيقيا جاء تحت عنوان: آليات التأويل المعاصرة للنص الشعري العربي "عبد القادر فيدوح" أنموذجا، وأخيرا قدمنا خاتمة تضم جملة النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

1. مفهوم التأويل:

أ. الاشتقاق اللغوي:

عند العرب:

يأتي مفهوم التأويل عند العرب في اشتقاقه اللغوي مرتبطا بحقيقة الشيء ومرجعه وكذلك مآله وعاقبته، "آل الشيء يؤول أَوْلًا ومآلا : رجع. وأَوَّلَ إليه الشيء : رَجَعَه. وأُلتُ عن الشيء: ارتددتُ" (منظور، (د،ت)، صفحة 171)، وعلى هذا الأساس ينزاح هذا المفهوم من إطاره الحقيقي إلى حقل اللغة والكلام، "ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه" (فارس، 1979، صفحة 162).

كما جاء أيضا بمعنى التفسير والتبيين "التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء وقد (أوله) تأويلا و (تأوله) بمعنًى" (الرازي، 1986، صفحة 13)، ولا يخرج عن هذا الإطار عموما في الاشتقاق اللغوي العربي حيث يذكره "الفراهيدي" على أنه "تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه" (الفراهيدي، 2003، صفحة 100).

عند الغرب:

ينبني مفهوم التأويل "Interpretation" في الثقافة الغربية على أساس ميثيولوجي يتمثل في أسطورة هرمس (باللاتينية Hermes)، باعتباره رسول الآلهة ووسيط الفهم بينها وبين البشر ومن هرمس جاءت لفظة "الهرمينوطيقا" المشتقة من الأصل اليوناني "هرمنويين hermeneuin" التي تحمل دلالات التفسير والبيان والشرح وكذلك الترجمة، فكل من الهرمينوطيقا والتفسير "يتعلق لغويا بالإله هرمس رسول آلهة الأولمب الرشيق الخطو الذي كان يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة ثم يترجم مقاصدها وينقلها إلى أهل الفناء من بني البشر" (مصطفى، 2007، صفحة 24).

والهرمينوطيقا "hermeneutic" ترتبط بالفعل"Interpret" الذي ينقلنا إلى جملة من الإحالات المرتبط في سياقها الثقافي الغربي بالإنتاج والانفتاح، فالتأويل يقتضي الإنتاج سواء بالتفسير أو الشرح أو الترجمة أو التعبير وبالتالي فالهيرمينوطيقا المشتقة من "hermeneutikos" (كلمة من الشكل اللاتيني للغة اليونانية) تقترن بالتفسيرية "interpretive" في معناها اللغوي، فتأتي بمعنى التفسير أو التأويل وبمعنى الترجمة ونطق الكلام– أي التعبير باللغة– أصلها من كلمة هرمس إله الكلام والكتابة والبلاغة (Etymology Dictionary, Accessed 2021).

ويسود في التسميات الغربية مصطلح "hermeneutic" على حساب "interpretive" لارتباطها بالموروث الأسطوري والفلسفي اليوناني القديم، وتصورهم الميثي (الأسطوري) المتعلق باللغة والكلام، لذلك جاء المصطلح مرتبطا بالميثيولوجيا مزيحا المصدر Interpretation عن الاستعمال الذي يعني في المعاجم الغربية ما تعنيه كلمة hermeneutic فيها تقريبا، فهو أيضا يأتي بمعنى التفسير والشرح والترجمة والكلام، "Interpretation" يعني شرح النص وتفسيره وإعطائه معنى ومن مرادفات هذه الكلمة "التعليق، التفسير، الشرح وإعادة الصياغة، كما يمكن تعريفه على أنه إسناد معنى رمزي أو استعاري إلى شيء ما كتفسير الأحلام مثلا، ويستعمل بمعنى تفسير السلوك أو ظاهرة معينة فهو طريقة لتفسير حقيقة أو سلوك" (La Rousse, vu le 2021).

إن تأثر اليونان بالتراث الميثي (الأسطوري) انعكس بشكل ما على التسميات، فرغم عقلانية الفكر الإغريقي إلا أنه تضمّن جانبا من الغرائبية واللاعقلانية كما ذهب إلى هذا "**أمبرتو ايكوUmberto Eco**" الذي يعتبر أن الحضارة الاغريقية رغم هوسها بالعقلانية إلا أنها بلورت على هامشها أفكارا لا عقلانية هي فكرة المسخ الدائم "هرمس" الذي يرتبط بالتأويل بشكل وثيق. (إيكو، 2004).

لعل هذا التوجه يفسر لاحقا انشغال التأويل بالحقل الديني دون غيره، ذلك أن ارتباطه الأساسي كان ارتباطا عقديا إيمانيا يؤمن بالإله "هرمس" كرسولا للآلهة ومترجما لما لم يدركه الفهم الإنساني إلى ما يمكن فهمه وإدراكه، وهذه الوظيفة يتمثلها الكهنة والقساوسة باعتبارهم المالكين لمفاتيح فهم النص المقدس وهم الأقدر على شرحه وتفسيره بتفويض من الرب، لذلك يأتي معنى الهرمينوطيقا على أنه "علم التفسير المتعلق بالكتاب المقدس أو أنه ذلك الفرع من اللاهوت الذي يتعامل مع مبادئ التفسير الكتابي" (dictionary.com, Accessed 2021) .

تخرج الهرمينوطيقا فيما بعد من المجال الديني إلى حقل العلوم الإنسانية على يد "**شلايرماخر Friedrich Schleiermacher**" و"**دلتاي Wilhelm Dilthey** " ومن جاء بعدهما لينتقل التأويل من النصوص الدينية إلى النصوص الأدبية والفلسفية والقانونية.

ب. **المفهوم الاصطلاحي:**

في التراث العربي:

إن كان التأويل لغة يرتبط بمرجع الشيء و مرده فإنه في الاصطلاح محاولة لمقاربة المعنى الباطني للنص ليتوافق مع ظاهره بقرينة ودليل يعضده، حسب الأصوليين وعلماء التفسير والفلاسفة فيعرفه "**الغزالي**" على أنه: احتمال بدليل يدرأ الظن بخطأ هذا الاحتمال ويشبهه الغزالي بأنه صرف عن الحقيقة إلى المجاز إن ثبت للاستغراق فهو مجاز (الغزالي، 1413).

ويحيل التأويل عند القدامى أيضا إلى الترجيح باعتباره ممارسة نسبية تعتمد على الاجتهاد وعلى المخزون الثقافي واللغوي للمؤول الذي يقارب النص، بالتالي فالتأويل خاضع للنسبي لا للمطلق والنص ينفتح على دلالات وتأويلات مختلفة، والمؤول يرجح إحداها مراعيا عدة أمور كظروف إنتاج النص وسياقاته ليقارب تأويله الصواب وحتى لا يكون تأويلا مغلوطا، يقول "**ابن حزم الأندلسي**": التأويل نقل اللفظ بغير ظاهره مع وجود برهان يوافق هذا النقل فإن لم يكن هذا الأخذ صحيحا ببرهان فالتأويل باطل (الأندلسي، 1983)، ونجد "**ابن رشد**" يقدم مفهومه للتأويل على أنه الانتقال باللفظ من الدلالة الحقيقية إلى المجازية دون الإخلال بعادات العرب الكلامية (بن رشد، (د، ت)).، وأكثر ما ارتبط به التأويل قديما هو النص الديني ولم يتحرر من سلطانه إلا في عصور متأخرة حيث انتقل ليعالج النصوص الأدبية بشكل واضح وصريح مع ازدهار الوضع الثقافي في الفترة العباسية.

عند المحدثين العرب:

تأثر العرب المعاصرون أيما تأثر بالتيارات الغربية في التأويل فحاولوا المزاوجة بين التراث العربي والمنجز الغربي في تقديم مفهوم للتأويل، إذ يقدم "**علي حرب**" تعريفا له بأنه "استنباط من المعلوم وانبجاس في صميم الأصل انبجاس يسمح بتعدد الدلالة" (حرب، 2007، صفحة 14)، ويرى "**حرب**" أن التأويل يقوم على العودة إلى الأصل –كما في المعنى اللغوي العربي– إلا أنه يشترط فيه التعدد والاختلاف متأثرا في هذا بالمنجز الغربي، فقراءات النص وتأويلاته لا تتطابق حتى للقارئ الواحد ذلك أن: "التأويل ينبني على الفرق والتعدد ويفترض الاتساع في اللفظ وفيض المعنى، لذلك من غير الممكن أن تكون الحقيقة أحادية الجانب أو يكون التأويل نهائيا" (حرب، 2007، صفحة 17).، في حين يأتي مفهوم التأويل والتأويلية عند "**نصر حامد أبو زيد**" مجاورا للتفسير ويترجم الهرمنيوطيقا بنظرية التفسير متبنيا الطرح الجدلي في علاقتنا مع الغرب، فالعرب في حوار جدلي مع الغرب ولا يجب الاكتفاء بالاستيراد فقط بل يجب الانطلاق من الهموم الراهنة في التعامل مع الواقع بمختلف جوانبه، وبالتالي فالهرمنيوطيقا ليست قضية خاصة بالغرب فقط بل لها وجودها في التراث العربي القديم والحديث على حد سواء (أبو زيد، 1995).

لذلك يَبني "**أبو زيد**" مفهومه للتأويل على قاعدة تراثية تستفيد من المعطى الغربي ليُقَدِّمَ مفهوم الهيرمنيوطيقا في ضوء هذا كالتالي: الهرمينوطيقا هي النظرية التي تدرس معضلة تفسير النص سواء كان دينيا أم تاريخيا وتركز اهتمامها بشكل لافت على علاقة المفسر أو الناقد الأدبي في حالة النصوص الأدبية بالنص، وهذا التركيز هو أساس الهرمنيوطيقا أو نظرية التفسير حسبه (أبو زيد، 1995).

ويختلف "**جابر عصفور**" في تعاطيه مع هذا المصطلح مع "**نصر حامد أبو زيد**" ويترجمها بعلم التأويل ويعرفها على أنها النظرية التي تدرس انتقال المعنى من المستوى الأول إلى الثاني، حيث يقول أنه يميل إلى ترجمتها بعلم التأويل لا التفسير فهي تحمل النص من المعنى الظاهر إلى المعنى الباطن (عصفور، 2018).، وعليه فإن مفهوم التأويل والتأويلية في العصر الحديث يقوم على فكرة الاستمرارية التي تستمد جذورها من التراث، لكنها في الوقت نفسه تطرح فكرة تشظي المعنى وتعدده وتتجاوز الحقل الديني إلى مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية متأثرة في هذا بالثقافة الغربية، ليشكل التأويل وآلياته وسيلة مهمة للوصول إلى المعنى وإعادة إنتاجه انطلاقا من النص الذي يعتبر أساسا لفعل التأويل ومنطلقا له، لذلك فقد حظي مفهوم النص أيضا إلى جانب التأويل بعناية كبيرة من طرف النقاد والدارسين المعاصرين.

2. مفهوم النص:

يعتبر مفهوم النص من المفاهيم الغامضة والمشكلة وذلك راجع لكونه كيانا مشتركا بين حقول وميادين معرفية مختلفة، تتجاذبه وتقدم كل واحدة منها مفهوما يستند لإطارها المنهجي: "إن مفهوم النص مفهوم إشكالي لأن طابعه المتغير والتشكلات التي يتمظهر بها تجعل من تعريفه مهمة صعبة وبوصفه سيرورة تواصلية فإن العديد من أنماط التواصل تتنازع حوله وتحاول أن تجره إلى حقلها وتوظيفه توظيفا إجرائيا" (خمري، 2007، صفحة 35).، لكننا سنحاول تقديم تعريف شامل يقارب مفهوم النص استنادا لآراء الباحثين في هذا المجال.

يعرف "**الشريف الجرجاني**" النص على أنه ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى (الجرجاني، (د، ت)). وفي تعريفه هذا يتمثل الدلالات اللغوية من المعجم العربي أين يَرِدُ النص بمعنى البيان والوضوح والظهور، وينسحب هذا التصور حتى على التعريفات المعاصرة للباحثين العرب أين يُعَرَّفُ النص بأنه: ظهور المعنى في شكل صوتي مسموع أو مرئي مكتوب (الزناد، 1993).، فهذا التعريف لا يخرج عن إطار الدلالة المعجمية التي تربط النص بالوضوح والظهور.

ويؤكد على هذا "**نصر حامد أبو زيد**" حين يقارن بين المفهوم الغربي للنص والمفهوم العربي، فيرى أن النص في أصله اللغوي عند الغربيين يعني نسيجا من العلاقات اللغوية المركبة تتجاوز الجملة وتكون ذات فائدة، أما عند العرب فالدلالة الأساسية هي الظهور والانكشاف ولا تزال مستخدمة حتى في وقتنا الحاضر (أبو زيد، 1995).، بالتالي فإن النص رغم اختلاف التأسيس الفكري لمفهومه سواء في الموروث العربي أو الغربي فإن الاتفاق يقع على أنه يقترن باللغة، فهو ظهور للمعنى وسوق للكلام عند العرب وهو نسيج من التراكيب اللغوية عند الغرب.

وعليه يمكننا أن نُعَرِّفَ النص على أنه: إنتاجية لغوية وسلوك لساني سواء كان شفويّا أو مثبّتا بالكتابة، يقترن باللغة حتى وإن كان هذا النص شكلا غير لغويٍّ، فلا خلاف أن النص سواء كان شكلا لغويا أو غير لغوي هو وحدة

دلالية كبرى غير محددة بطول معين وبهذا يكون النص مفهوما جامعا لكل ما يمكن تأويله أو تفسيره فالعلامات غير اللّغوية أيضا تتحول إلى علامات لغوية أثناء استقرائنا لها ومحاولتنا فهمها وبالتالي فهي نص.

3. علاقة التأويل بالنص:

مما لا شك فيه أن التأويل يحتاج نصا ليشتغل عليه، فالنص مادة هذا التأويل الذي يعتبر وسيلة للفهم وسبيلا للوصول إلى حقيقة النص وكشف غموضه وسبر أغواره، ليكون هذا التأويل هو كذلك نص آخر يتكون خلال هذه السيرورة إذ أنه مرتبط بالإنتاجية (إنتاج نص شارح للنص الأصلي) ففهم النص يقتضي نصا آخر.

ينطلق التأويل من النص ليكون نصا جديدا قد يخضع هو الآخر للتأويل في حلقة لا متناهية أساسها النص ووسيلتها التأويل وغايتها الفهم "التأويل في أدق معانيه هو تحديد المعاني اللغوي في العمل الأدبي من خلال التحليل وإعادة صياغة المفردات والتركيب ومن خلال التعليق على النص" (الرويلي والبازعي، 2000، صفحة 88).، أي أنه لا وجود لتأويل دون نص.

وليس أي نص يقبل التأويل فالنص العلمي والنص التواصلي وما يمكن أن ندرجه في التقرير والإخبار المباشر لا يصلح لأن يكون موضوعا للتأويل، حيث إنه يرتبط أكثر بالنصوص الدينية والأدبية والفلسفية... (النصوص التي تتجاوز الإخبار والتقرير إلى مستوى التضمين والإيحاء والرمز)، بالتالي فهو يشتغل ويركز على ما يصعب فهمه كالمقطوعات المجازية أو النصوص الغامضة، فارتباطه بالفن والأدب أعمق لأنه يسعى لتوضيح مرامي العمل الفني ومقاصده باستخدام اللغة (حرب، 2007).

ولعل "**نصر حامد**" بيّنَ لنا علاقة التأويل بالنص بشكل واضح وصريح، عندما قرر أن موضوع الهرمينوطيقا هو النص، "القضية الأساسية التي تتناولها الهرمنيوطيقا بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام" (أبو زيد، 1995، صفحة 13).، وعليه يتبين لنا أن التأويل مستحيل دون وجود المادة التي يشتغل عليها التي هي النص، ومن هنا يمكننا تحديد علاقة النص بالتأويل على أنها علاقة تلازمية تراكبية يقتضي فيها أحدهما الآخر.

4. آليات تأويل النص الأدبي العربي قديما:

اعتمد التأويل –تأويل النص الأدبي، الشعر خصوصا من أجل فهمه بالدرجة الأولى ومن ثم الكشف عن جماليته بالدرجة الثانية ومن ثم تقييمه بالدرجة الثالثة وأخيرا من أجل المفاضلة بين الشعراء كمرحلة نهائية–، في التراث العربي قديما، على الذائقة والطبع، واستند إلى مخزون النقاد اللغوي، وإلى ذوقهم الجمالي، حيث كانت تُعقد حلقات نقدٍ وتقييم للشعرِ في الأسواق والحكم بأفضلية بيت على بيت وقصيدة على أخرى، استنادا لعملية قراءة تأويلية ذات طابع ذوقي انطباعي أساسه الأثر الذي يتركه المقطع الشعري في نفسية الناقد، وقدرة الشاعر على إصابة المعنى وملكته في التصوير الشعري.

ولا يمكننا استنباط مقولات أو قواعد مضبوطة للتعامل مع النص الأدبي العربي وتأويله من هذه الفترة لأنها اعتمدت على الذائقة الشخصية والأهواء الذاتية، لكن نستطيع القول إن تحليل النص الأدبي العربي وتأويله دخل مجال الموضوعية، واكتسب لنفسه آليات ذات صبغة نقدية في العصر العباسي، حيث ظهرت قضايا من قبيل "اللفظ والمعنى" و"الوحدة

العضوية" وغيرها...، ومنه يمكن تقصي آليات التأويل التراثية في تحليل النص الأدبي العربي وتتبعها في النتاجات النقدية عند التراثيين العرب أمثال "**الجاحظ**" و"**ابن جني**" و"**الآمدي**" وغيرهم.

لقد ركز العرب كثيرا على الجانب اللغوي وأعطوه أهمية بالغة في بناء المعنى، وبهذا فإن الآليات التأويلية التي استخدمت في تحليل النص الأدبي مستقاة من العلوم اللغوية، حيث "تعد قضية التعبير اللغوي من أبرز القضايا ارتباطا بالفهم وإنتاج المعنى، وبالأخص اللغة الرمزية، فالمنتج والمؤول لا يستطيعان التخلص من ذاكرتيهما إذ يظل التأويل المعتمد على اللغة هو الشكل التأويلي بامتياز" (بازي، 2010، صفحة 72)، إن تأويل النصوص حاضر في التراث العربي وينبني على قاعدة لغوية رمزية، يورد "**محمد بازي**" هذا عندما يعمد إلى مناقشة إحدى قصص "**الجاحظ**" في كتابه الحيوان ليؤكد على الممارسة التأويلية في تحليل النصوص عند العرب القدامى حين يقول "وبتفحصنا للواقعة التالية التي يذكرها الجاحظ في "الحيوان" تتجلي خصائص التجربة الرمزية القائمة على اللغة في عملية التواصل وما يرتبط بها من سيناريوهات تأويلية" (بازي، 2010، صفحة 75).

فآليات تأويل النص الأدبي في التراث العربي هي آليات لغوية بالدرجة الأولى ومع مراجعتنا للتراث العربي يمكن أن نحدد آليات التأويل التي انْتُهِجَتْ في تحليل النصوص الأدبية كالآتي:

أ. **دراسة الظروف السياقية للعملية الإبداعية:**

إن معرفة سياق إنتاج النص أمر مهم بالنسبة للمؤوِل لأنه يوجهه إلى مقاصد المؤلف ويعطيه نظرة عن الظروف التي نشأ فيها النص، وبالتالي يُمكِّنُه من فهم بعض العناصر التي قد تكون غامضة إن عُزِل النص عن سياقاته، لم يهمل القدماء هذا لذلك نجدهم قبل أي تحليل يدرجون تعريفا للمؤلف ولمناسبة إلقاء القصيدة، فمثلا يعرف ابن جني "**المتنبي**" في كتابه "الفِسر" ويقدم لنا مناسبة إلقاء القصيدة فيقول: "ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ونشأ بالشام وبالبادية وقال الشعر صبيا" (ابن جني، 2004، صفحة 23).

من خلال هذا يمكننا أن نعرف أن المبدع نشأ في بيئة لغوية ثرية مَكَّنَتْهُ من قول الشعر وهو حديث السن، ويحيطنا "**ابن جني**" بمناسبة نظم القصائد فمثلا في قصيدة "عذل العواذل" يورد ابن جني هامشا يقول فيه "وقد أمره سيف الدولة بإيجازة أبيات على قافية الهمزة، الأول من الكامل والقافية متدارك" (ابن جني، 2004، صفحة 23) .

وينتهج "**الآمدي**" النهج نفسه في كتابه "الموازنة" حيث يعرف لنا الشاعرين" **أبا تمام**" و"**البحتري**" ويصف لنا ميولهما الشعرية وذائقتهما الأدبية: "كان أبو تمام مستهترا بالشعر، مشغوفا به، مشغولا مدة عمره بتبحره ودراسته" (الآمدي، (د،ت)، صفحة 58).، فالمؤول والشارح من خلال ذكره لمثل هذه السياقات يضعنا في طريق الفهم الصحيح للنص، وكأنه يقول أن صاحب هذه القصيدة هو المتنبي أو أبو تمام، هكذا ترعرع وهذه هي ظروف تعلمه وتكوينه وقد نظم القصيدة في هذه السياقات، لذلك علينا احترام هذه الخصوصية ومراعاتها أثناء عملية التأويل، فدراسة سياق النص خطوة مهمة لعملية التأويل قد تساهم في فهم أفضل له.

ب. **تأويل الأنساق البنائية للنص:**

البعد المعجمي: إن معرفة دلالات البنى الصغرى عملية مهمة في تأويل البنية الكبرى، ذلك أن القصيدة تشكيل لغوي يتكون من مفردات عديدة والجهل بمعاني هذه المفردات سيجعل من القصيدة كيانا غامضا يصعب فهمه، لذلك اعتمد المُؤَوِلُونَ والنقاد القدامى على البعد المعجمي في شرحهم وتفسيرهم للنصوص، فنجد "**ابن جني**" يرفق الشرح اللغوي للألفاظ العسيرةِ في دراسته ويبني عليها تأويلاته، فيشرح لفظة المهجة لغويا أثناء تعامله مع قصائد المتنبي قائلا:"المهجة خالص النفس ويقال: المهجة: دم القلب" (ابن جني، 2004، صفحة 32).

ويُبَيِّنُ لنا "**الآمدي**" أهمية الجانب اللغوي والمعجمي في التأويل إذ إن استعمال الألفاظ في غير موضوعها قد ينجم عنه فساد في التأويل، وذلك حين يعيب على أبي تمام استخدامه لفظَ "الصبا" بمعنى الدبور في حين أن اللفظ يأتي بمعنى القبول:"الصبا هي القبول، وليس بين أهل اللغة وغيرهم في ذلك خلاف" (الآمدي، (د.ت)، صفحة 158)، ويعدد الأخطاء التأويلية الناجمة عن استخدام لفظة "الصبا" بغير معناها اللغوي عندما وظفها أبو تمام بدلالة الدبور فيقول: هذا غلط من التأويل من وجوه منها أنه ذكر الدبور في البيت مرة فلا يجوز له ذكرها ثانية، ومنها أنها تعني القبول وقد خُصّت الصبا بهذا لأنها تأتي من موضع إقبال النهار ولو جاز استعمالها بمعنى الدبور لسميت الشمال قبولا أيضا لأنها تقابل الجنوب والعكس، ولا يوجد من يدعي هذا أو يجيزه ولا أحد يُحدِث لغة غير معروفة وينسب إلى العرب ما لم تقله (الآمدي، (د.ت)).، ومن هذا نستخلص أن البعد المعجمي وفهم مفردات النص آلية مهمة في مواصلة العملية التأويلية، فهي أولا تحدد لنا معنى المفردة لتنفتح على السياقات اللغوية الأخرى، ومن خلالها نستطيع تحديد قصد الشاعر والمعنى العام الذي أراد توصيله.

البعد النحوي والصرفي: إن النحو من الآليات التأويلية التي يستحيل الاستغناء عنها خاصة في دراسة النصوص الأدبية العربية القديمة، باعتباره معيارا لتصويب الكلام، وعنصرا مهما لدراسة المعنى خارج إطار المفردة وداخل إطار أوسع هو النص، وأيضا وسيلة لمعرفة العلاقات الدلالية بين أجزاء الجملة.

يوظف "**ابن جني**" هذه الآلية في كتابه "الفسر" لِيُجْلِيَّ الغموض ويصل إلى فهم أعمق للمعنى: "إنما أراد أين حسني هو منك؟ هذا على رأي النحاة في أن الاسم رديف التسمية لا المسمى، ولا يستقيم معنى البيت إلا على أنه التسمية" (ابن جني، 2004، صفحة 35)، فمن خلال آلية النحو يرصد ابن جني الهفوات التي وقع فيها الشاعر فحين يؤول بيت المتنبي الذي يقول فيه: "أين الثلاثة من ثلاث خصاله"، يذهب إلى إعطاء المعنى لهذا البيت مستقلا فيؤوله بأن المتنبي يتساءل "عن الخصال الموجودة في سيف الدولة ولا توجد في حسن الشمس وإباء النصر ومضاء السيف" (ابن جني، 2004، صفحة 35)، ويعتمد في تأويليه على آلية النحو أيضا حينما يربط بين معنى هذا البيت، وبين البيت الذي يسبقه عندما يبين هفوة الشاعر بنسيانه لحرف العطف "الواو" فيقول: "ولو قال: «وأين؟» بالواو لكان أعذب، لأن الواو تخلط الثاني بالأول، فلا تجعل لأحدهما ميزة على الآخر في التقدم والتأخر، وإذا لم يأتِ بالواو صار الكلام كأنه منقطع" (ابن جني، 2004، صفحة 39).

وإذا كان النحو متابعة لتقلبات وتحولات الكلمة وحركاتها داخل الجملة وما ينجم عن هذا من تغير في المعنى الكلي لهذه الجملة وما ينعكس به هذا على النص بأكمله، فإن الصرف يختص بالكلمة ذاتها ويستفيد المؤول من الصرف في دراسة أبنية الكلمات واشتقاقها وإرجاعها إلى الأصل من أجل معرفة معناها المقصود في النص، فيعرض "**ابن جني**" الأوزان الصرفية للكلمة حتى يصل إلى أصلها ثم يوضح استعمالات العرب لها، ويختار منها ما يناسب سياق البيت المشروح ومثال ذلك تناوله لكلمة "الأشواق": "الأشواق: جمع شوق فجمعه وإن كان مصدرا كما تقول: شغل وأشغال وحزن وأحزان وفكر وأفكار، وهذا كثير جدا وإذا جمعت المصدر فأنت فإنما توقعه على النوع فأما الجنس فلا يصح جمعه لاستحالة ذلك في المعنى" (ابن جني، 2004، صفحة 50)، فآلية الصرف والاشتقاق تتكاثف مع النحو والمعجم في الاستراتيجية التأويلية التي يتبناها النقاد القدامى من أجل الإمساك بمعنى النص والوصول إلى مقاصده.

البعد البلاغي: لا يمكن دراسة آليات تحليل النص الأدبي العربي دون الرجوع إلى البلاغة، كونها آلية بالغة الأهمية في تأويل الأثر الأدبي الذي يتكون من بنيات تخترق المعاني الأولى وتنزاح عنها ليبلغ جماليته، فلا يمكن تحليل وتأويل هذه البنيات وفهمها دون الاستعانة بآلية البلاغة.

إن البلاغة فعل تأويلي، وقراءة نصية، وقاعدة مهمة في فهم النصوص العربية، قامت عليها التأويلية العربية وسعت لتقنينها والتنظير لها لتكون آلية ناجعة في التحليل، "سعت المباحث البلاغية القديمة إلى تقنين بلاغة الإنتاج، وتحديد شروطها ومقوماتها. ونجد ضمن تلك الاجتهادات إشارات هامة إلى ما يحقق بلاغة تأويلية، قادرة على تجاوز عوائق الفهم خاصة في إدراك بعض البنيات التركيبية البلاغية" (بازي، 2010، صفحة 101).

لذلك فإن النقاد القدامى اعتمدوا على آليات البلاغة في تأويل الأثر الأدبي كما نجده عند "**ابن جني**" في شرحه لديوان المتنبي، حيث يرصد البنى البلاغية من كناية واستعارة وتشبيه وغيرها ويشرحها مبرزا المعنى العميق الذي يقصده المبدع من توظيفه لهذه البنى المجازية والاستعارية، فيوضح لنا أن: "نواذج أفواه المنايا" و"أيدي الشمال الباردات" و" الكافر" وظنابيب الهوى" كلها استعارات فلا يملك الموت فمًا ولا رياح الشمال يدا ولا يوجد للهوى ظنابيب وإنما هي استعارة وتصرف في القول (ابن جني، 2004).

ونتمثل هذا عند "**الآمدي**" أيضا حيث لا يخلو كتابه من التأويل البلاغي وسنقدم مثالا عنده عندما يدرس بلاغة الاستعارة وملاءمتها للمعنى، فينتصر لامرئ القيس ممن ظلمه في تأويل بيته الذي وصف فيه الليل فيقول: إن من يعيب على امرئ القيس وصفه هذا، لا يعرف موضوع المعاني والاستعارات والمجازات، فوصفه لليل غاية في الحسن والجودة يذكر امتداده ووسطه وتثاقل صدره وهذا منتظم لجميع نعوت الليل الطويل، فعندما جعله يمتد وجعل له صدرا متثاقلا حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب ويمططه، وحسن أن يستعير للصدر اسم الكلكل للنهوض، ويقول الآمدي أن هذه أقرب الاستعارات من الحقيقة لأن معناها يلائم معنى ما استعيرت له (الآمدي، (د،ت)).

وعليه فإن البلاغة تعتبر آلية مهمة في تحليل النص الأدبي العربي وتفكيكه، وتشكِّلُ وسيلة تأويلية ناجعة تساهم في الوصول إلى المعنى وفهمه، ومن ملاحظتنا للخطاب النقدي العربي القديم فإننا نجزم بأن هذا الخطاب لا يخلو من البلاغة كآلية تأويلية لها وزنها في إنتاج المعنى وفهم النص.

5. الآليات الحديثة والمعاصرة في تأويل النص الأدبي العربي:

في العصر الحديث ارتبط تحليل النص الأدبي العربي وتأويله بالنظريات الغربية بعد أن ظل ردحا من الزمن يستعين بالنحو وعلوم اللغة والدرس البلاغي القديم، فمع الثورة اللسانية التي فجرها "**دي سوسير Ferdinand de Saussure**" انتقل فعل التأويل ليرتبط بعلوم اللغة الغربية الحديث، ولينطوي تحت المناهج والنظريات التي تولدت عن النظرية الألسنية، كالبنيوية والسيميائية وأيضا التفكيكية ونظريات القراءة والتلقي، هذه الأخيرة التي منحت السلطة للقارئ في تتبع دلالات النص لتغدو كل قراءة للنص هي إضافة على النص الأصلي، وهي بدورها تستدعي قراءة أخرى فكل قراءة كما يقول "**دريداJacques Derrida**" هي إساءة قراءة.

وعليه فإن التأويل تطور مع المناهج النقدية الغربية المعاصرة واستقى العرب هذه المناهج ووظفوها في تحليل نصوصهم الأدبية، لكن رغم هذا التأثر بالمناهج الغربية إلا أن العرب لم ينفصلوا تماما عن تراثهم فقد اعتمدوا على آليات التأويل القديمة، وسربوها إلى الممارسة التأويلية المعاصرة في تحليل النصوص "غير أن أهم ما يجب التنبيه إليه هو أن كثيرا من خلفيات التأويل القديم وتياراته تسربت إلى التأويل الحديث والمعاصر" (مفتاح، 1990، صفحة 100).

ذلك أن النص ينتمي للثقافة العربية وهو نسيج لغوي خاضع لقواعد اللغة العربية، بالتالي فإن مستوى التعامل الأول مع النص يكون وفق خصوصية اللغة الحاملة للمعنى، التي هي اللغة العربية وعليه فإن المؤول وإن استعان بالنظريات الغربية فإن المحطة الأولى التي سيقف عندها هي محطة اللغة والمعجم العربي لأن النص ينتمي لهذه اللغة وهو وليد هذه البيئة والثقافة، ودون الاستعانة بهذا فإن التأويل لا يمكن أن يتقدم خطوة أخرى إلى الأمام.

إننا نلاحظ أن ما يؤتى به من الغرب يُنَاسَبُ مع البيئة العربية، حيث تحصل عملية تكييف لهذا المعطى المستقدم، فمثلا نجد المحلل الغربي في السيمياء يشتغل وفق خطين خط أفقي وآخر عمودي، فهو أفقيا يشتغل على البنية السطحية وعلى البنيات اللسانية والدلالات اللغوية المباشرة، في حين يشتغل عموديا على البنية العميقة والمسكوت عنه في النص في محاولة لمعرفة الرؤية التي تتحكم في إنتاج البنية السطحية.

يستعين الدارس العربي بهذه الآليات لكنه يُكَيِّفُها، فما يقابل البنية السطحية عنده هو ظاهر النص والشروحات المباشرة وتلك العملية المعجمية التي تجعله يفهم المعنى الأول للنص، أما ما يقابل البنية العميقة فهو المستوى الباطني أو الرمزي الذي يحتاج للتأويل لأنه معنى يختفي خلف المعنى الظاهر، ومعرفته تحتاج إلى التعمق داخل النص وسبر أغواره، إن التأويل عملية تفاعلية ذات اتجاهين من النص إلى القارئ ومن القارئ إلى النص فذات القارئ حسب "**غادمير Hans-Georg Gadamer**" لا تنفصل عن النص بل تتفاعل معه في شكل لعبة مسرحية درامية فيقدم التأويل على أنه: "أشبه ما يكون بالمسرحية الدرامية إذ إن المؤول يؤول من الداخل من خلال انتمائه إلى المسرحية ومن خلال مشاركته في تمثيلها وصيرورتها" (الرويلي والبازعي، 2000، صفحة 92).

ويضم التأويل وفق هذه النظرة مجموعة من الآليات ينبغي على القارئ تتبعها من أجل تأويل صحيح: فأولاً على المؤول أن يستحضر إلى وعيه أفكارا مسبقة قد تؤثر في فعل التأويل لأن المسافة الزمنية لا تعد حاجزا يعيق الفهم، وثانيا أن يعرف كيفية محاباة نمط معين من النزعة التاريخية يتمثل في تضمين النسبية والليبرالية في المقاربات التاريخية كونهما

قيما موضوعية، وثالثاً عليه إحياء مفهوم الحكم المسبق وإعادة تقييمه لأنه ارتبط منذ عصر الأنوار بالتسرع في الأحكام والثقة التامة بالمرجعية وهذا من أجل إصلاح قيمة التراث والمرجعية بنجاح (ماكلين، 1998).

إن المعنى حسب "**غادامير**" نسبي يعتمد على القارئ وظروف قراءته للنص، وعليه يمكننا القول أن التأويلية أو الهرمينيوطيقا لا تمتلك قاعدة ثابتة فهي تابعة للنص تتقلب بتقلبه كونها تستقصي المعنى، وتنتج آليات الفهم لتحليل النصوص للوصول إلى المعنى، فهي لم تشكل أرضيتها الخاصة بقدر ما تابعت المعنى حيثما حل، ويتضح لنا هذا من النقد الأدبي الذي تبنى منهجيات مختلفة، من تركيز على المؤلف كمصدر للمعنى عند النقاد التقليديين، إلى إرساء المعنى على النص أو القارئ وإلغاء دور المؤلف مع أنصار البنيوية وما بعدها (الرويلي والبازعي، 2000).

وسنقدم فيما يلي آليات تأويل النص الأدبي العربي في ظل المناهج الغربية مستأنسين بنموذج تطبيقي لنؤكد على أن المؤول العربي وإن استعان بآليات دخيلة على ثقافته في تحليل النص الأدبي، إلا أنه في الحقيقة ينطلق من آليات تراثية محفورة في لاوعيه "يتنازع المؤول انتماءه إلى التراث والمسافة الكائنة بينه وبين المواضيع باعتبارها مبحثا لأبحاثه واستقصاءاتها" (غادامير، 2006، صفحة 16) هذه الآليات تستدعيها اللغة وخصوصية النص الذي يتعامل معه الذي هو نص عربي.

6. آليات التأويل المعاصرة للنص الشعري العربي "عبد القادر فيدوح" أنموذجا":

إن الآليات التي اعتمد عليها "**عبد القادر فيدوح**" في دراسته للشعر القديم آليات استقاها من النظرية الغربية، إلا أنه لا ينفصل عن الآليات التراثية، فإذا أخذنا نموذجا من دراسته للشعر الذي يستعين فيه بالمنهج السيميائي في تحليل النصوص، ودراسة الشعر الجزائري، متخذا من نص "**بكر بن حماد**" متنا لتطبيق الآليات التأويلية المعاصرة، نجده يصرح بهذا فيقول: "جاءت قراءتنا لنص بكر بن حماد محاولة لمقاربة نص قديم في ضوء أساليب وأدوات حديثة وهي محاولة أيضا لمقاربة تصب في قالب القراءة التأويلية" (فيدوح، 1993، صفحة 33).

رغم هذا فإننا نلمس حضورا للآليات التراثية تفرضها –كما سبق وقلنا– طبيعة النص وانتماؤه إلى الثقافة العربية، فمن غير المنطقي الاشتغال على نص عربي بآليات تأويلية أجنبية بحتة، كما لا يمكن الاشتغال على تحليل نص أجنبي وفق آليات تأويلية عربية، وذلك لاختلاف اللغة واختلاف المعايير الإبداعية، لذلك ورغم أن الدارس "**فيدوح**" قد حدد توجهه منذ البداية وهو القراءة التأويلية المعاصرة وفق المنهج السيميائي الغربي، إلا أنه سيقارب النص وفق آليات تحليلية عربية تابعة لعلوم اللغة والبلاغة، عندما نجده يقول في تحليله للبيت الأول من النص بأن الشاعر يفتتحه: "بفعل الأمر «قل» في صيغة استنكار وتنديد بفعل المعتدي « القاتل» الذي أجرم في حق الاسلام [الإسلام] وأدمى قلوب المسلمين باغتياله «الإمام علي»" (فيدوح، 1993، صفحة 34).

إن انطلاقة "**فيدوح**" في قراءته التأويلية كانت تعتمد على النظرية السيميائية الغربية وتتخذ من آليات المنهج السيميائي وسيلة لها لسبر أغوار النص والوصول إلى باطنه ومعناه، فانطلق من البيت الأول الذي اعتبره مفتاح القصيدة كما يقول بهذا النقاد الغربيون الذين ركزوا على دراسات العتبات النصية وبدايات النصوص كمولدات بنيوية تساهم في

إنتاج بقية النص، لكنه سرعان ما وضع النص في حدود بيئته وأوّله استنادا لخصوصيته العربية، وذلك بدراسته للأفعال والأساليب التي بنى بها الشاعر نص قصيدته، ليعود مجددا لتأويل النص وفق المقولات الغربية، مزاوجا بين المقولات المعاصرة وبين التراثية، ومستعينا بآليات علوم اللغة والبلاغة: "في هذا المقطع تتنوع العلاقات ففي حين يوازي الشاعر بين البيتين الأول والثاني من حيث المعنى إذ ينتقل إلى الإفصاح المباشر عن طبيعة فعل الهدم ليصرح به دون التزام أسلوب بلاغي معين أو اللجوء إلى قرينة دالة" (فيدوح، 1993، صفحة 35).

وكذلك بآليات المنهج السيميائي في تحليله عن طريق رصد علاقات التشابه والتضاد وفق المربع السيميائي حين يرى: أن الشاعر لا يقابل بين نقيضين ولكنه يرفع الإمام علي رفعا تدعمه شروط تاريخية وإنسانية وينزل الثاني لأنه في سجل المغضوب عليهم إنسانيا وتاريخيا (فيدوح، 1993).

رغم تصريح "**فيدوح**" بداية دراسته بأنه سيقرأ النص قراءة تأويلية معاصرة مستعينا بالمنهج السيميائي، إلا أننا نجد حضورا للآليات التراثية وللبلاغة العربية التي لا يمكن تجاوزها أو الاستغناء عنها أو قراءة نص أدبي عربي وتحليله دون الاستعانة بها.

الخاتمة:

من خلال مقاربتنا المركزة هذه يمكننا التوصل إلى جملة نتائج منها التالي:

- يرتبط مفهوم التأويل عند العرب باللغة فأصل الشيء مآله وكل ما يرجع إلى الأصل يؤول، في حين ارتبط مفهومه عند الغرب بأسطورة "هرمس" وهو ينطلق من قاعدة ميثولوجية تنبني على الفهم وإعطاء قراءات تحاول مقاربة المعنى بل وتعيد إنتاجه وفق رؤى مختلفة.
- إن مفهوم النص من أشكل المفاهيم التي لا يمكن تحديدها حيث تتجاذبه ميادين بحثية مختلفة لكن رغم صعوبة تعريفه إلا أنه مرتبط باللغة ارتباطا وثيقا، اللغة في إطارها الواسع الذي يشمل التركيب اللفظي وغير اللفظي كالصورة والرمز وغيرهما وبالتالي تصبح كل علامة دالة "نصا"، ومن هنا تأتي علاقة التأويل بالنص فالإنسان يسعى لفهم هذه الدلالات وإعادة إنتاج معانيها وبالتالي فهو يمارس فعل التأويل عموما في حياته وخصوصا عندما يدرس أثرا بطريقة منهجية تستند إلى قاعدة نظرية ما.
- نستطيع حصر الآليات التأويلية للنص الأدبي العربي قديما في علوم اللغة وعلوم البلاغة في حين يستفيد التأويل المعاصر للنص الأدبي العربي من النظريات الغربية التي حققت تقدما كبيرا في هذا المجال.
- لا يمكن لدارس النص الأدبي العربي أن ينفصل عن تراثه مهما تبنى من نظريات غربية في تحليلاته وذلك بسبب تركيب النص اللغوي فهو نص عربي والمقولات الغربية جاءت لتأويل نصوص ذات خصوصية لغوية مختلفة.
- تتشابه آليات تأويل النص الأدبي العربي القديمة مع المعاصرة في تركيزها على النص باعتباره موضوعا للتأويل ومنتجا للمعنى، وتختلف معها في عدة نقاط إذ يدرس المعاصرون النص معزولا عن سياقاته في بعض الأحيان، ويستندون إلى آليات المناهج الغربية كالتركيز على النص والمتلقي وإلغاء دور المؤلف في كثير من الأحيان

الأخرى، وأيضا بتقسيم النص إلى مستوى سطحي وآخر عميق-كما في المنهج السيميائي-، عكس ما نراه في التحليل القديم الذي يولي أهمية بالغة للمؤلف، ولا يشترط تعدد الدلالات في دراسته وإنما يقوم على اختيار الدلالة التي تتناسب مع السياق ومقاصد المؤلف، وهنا نلاحظ الفرق الجلي بين آليات التأويل القديمة والآليات المعاصرة.

يمكننا القول إن تحليل النص الأدبي وفق آليات التأويل لا يعتمد منهجية واحدة وثابتة وإنما يختلف التأويل باختلاف النص وباختلاف المؤول، لكن يمكننا تحديد خطوط عريضة لا يمكن للمؤول تجاوزها كمراعاة البنى اللغوية للنص ومراعاة ظروف إنتاج النص وسياقه التاريخي والاجتماعي إذن فالفعل التأويلي يعتمد جانبا نسقيا وآخر سياقيا يجب مراعاتهما للوصول إلى فهم أعمق وأدق للنص والأهم هو الاستناد إلى التراث كرافد لمواصلة السيرورة التأويلية.

قائمة المصادر والمراجع:

أبو الفتح عثمان ابن جني. (2004). الفسر، تح وتق: رضا رجب، مج1، ط1. دمشق، سوريا: دار الينابيع.

أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي. ((د،ت)). الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: السيد أحمد صقر، ج1، ط4. القاهرة، مصر: دار المعارف.

أبو الوليد بن رشد. ((د، ت)). فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط3. القاهرة، مصر: دار المعارف.

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي. (1983). الإحكام في أصول الأحكام، ج1، تح: أحمد محمد شاكر، ط2. بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة.

أحمد بن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة، ج1، (كتاب الهمزة، مادة أول)، تح: عبد السلام محمد هارون، (د،ط). بيروت، لبنان: دار الفكر.

الأزهر الزناد. (1993). نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ط1. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

الخليل بن أحمد الفراهيدي. (2003). كتاب العين، ج1، (باب الهمزة، مادة أول)، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الرازي .م .ب .(1986) . مختار الصحاح، (باب الهمزة، مادة أ و ل)، (د،ط). بيروت، لبنان: مكتبة لبنان.

أمبرتو إيكو. (2004). التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، ط2. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

إيان ماكلين. (1998). جهة الشعر. تم الاسترداد من jehat.com/ar/Pages/master-arabic.html: https://2u.pw/HeeAV

جابر عصفور. (28 ديسمبر، 2018). الهرمنيوطيقا ومشكلات التفسير والتأويل. الأهرام اليومي، 48234.

سعيد خمري. (2007). نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط1. بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.

عبد القادر فيدوح. (1993). دلائلية النص الأدبي دراسة سيميائية للشعر الجزائري، ط1. وهران، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني. ((د، ت)). معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد الصديق المنشاوي، (د، ط). القاهرة، مصر: دار الفضيلة.

علي حرب. (2007). التأويل والحقيقة، ط2. بيروت، لبنان: دار التنوير.

محمد بازي. (2010). التأويلية العربية نحو نموذج تساندي لفهم النصوص والخطابات، ط1. بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم.

محمد بن محمد أبو حامد الغزالي. (1413). المستصفى في علم الأصول، ج1، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي،ط1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

محمد بن مكرم بن منظور. ((د،ت)). لسان العرب، ج3، (باب الهمزة، مادة أول)، القاهرة، مصر: دار المعارف.

محمد مفتاح. (1990). مجهول البيان، ط1. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.

مصطفى، ع .(2007) .فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير. القاهرة، مصر: رؤية للنشر والتوزيع.

ميجان الرويلي وسعد البازعي. (2000). دليل الناقد الأدبي، ط2. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

نصر حامد أبو زيد. (1995). النص، السلطة، الحقيقة، ط1. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

هانس غيورغ غادامير. (2006). فلسفة التأويل الأصول المبادئ الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، ط2. بيروت، لبنان: منشورات الاختلاف.

dictionary.com. (Accessed 2021, Nov 15). dictionary.com. Retrieved from https://www.dictionary.com/: https://www.dictionary.com/browse/hermeneutics

Etymology Dictionary, O. (Accessed 2021, Nov 15). Online Etymology Dictionary. Retrieved from https://www.etymonline.com/: https://www.etymonline.com/word/hermeneutic

La Rousse, d. (2021 vu le, Nov 17). La Rousse dictionnaire de francais. Retrieved from https://www.larousse.fr/: https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/interpr%C3%A9tation/43811